

تاج العروس من جواهر القاموس

وأَدْرَكَ الشَّيْءَ أَيضاً : إِذَا فَنَى حَكَاهُ شَمِرٌ عَنِ اللَّيْثِ . قَالَ : وَلَمْ أَسْمَعْهُ لغيره وبه أوّل قوله تعالى : " بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ " أَي فَنَى عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ . قَالَ الأَزْهَرِيُّ : وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ فِي لُغَةِ العَرَبِ . وَمَا عَلِمْتُ أَحَدًا . قَالَ : أَدْرَكَ الشَّيْءَ : إِذَا فَنَى . فَلَا يُعَرَّجُ عَلَى هَذَا القَوْلِ . وَلَكِنْ يُقَالُ : أَدْرَكَتِ الثَّمَارُ : إِذَا بَلَغَتْ إِينَاهَا وَانْتَهَى نُضْجُهَا . قُلْتُ : وَهَذَا الَّذِي أَزَكَرَهُ الأَزْهَرِيُّ عَلَى اللَّيْثِ . فَقَدْ أَثْبَتَهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ الأَثْمَةِ وَكَلَامُ العَرَبِ لَا يَأْبَاهُ ؛ فَإِنْ انْتَهَاءَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ إِذَا قَالُوا أَدْرَكَ الدَّقِيقُ فَبأَي شَيْءٍ يُفَسَّرُ ؟ أَيُّقَالُ إِنَّهُ مِثْلُ إِدْرَاكِ الثَّمَارِ وَالقِدْرِ . وَإِنَّمَا يُقَالُ انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ ففَنَى قَالَ ابْنُ جِنْدِي فِي الشَّوَادِ : أَدْرَكَتُ الرَّجْلَ وَأَدْرَكَتُهُ وَأَدْرَكَ الشَّيْءَ : إِذَا تَتَابَعَ ففَنَى وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : " إِنَّ لِمُدْرِكُونَ " وَأَيْضاً فَإِنَّ الثَّمَارَ إِذَا أَدْرَكَتْ فَقَدْ عُرِضَتْ لِلْفَنَاءِ وَكَذَلِكَ القِدْرُ وَكُلُّ شَيْءٍ انْتَهَى إِلَى حَدِّهِ فَالْفَنَاءُ مِنْ لَوَازِمِ مَعْنَى الإِدْرَاكِ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ تَفْسِيرُ الحَسَنِ لِلآيَةِ عَلَى مَا يَأْتِي فَتَأْمَلْ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً " أَصْلُهُ تَدَارَكُوا فَأُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ وَاجْتَلَبَدَتْ الأَلْفُ لِيَسْلَمَ السُّكُونُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ " وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ بَلْ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ " قَالَ الحَسَنُ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ : أَي جَهَلُوا عِلْمَهَا وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَمْرِهَا كَذَا فِي النَّسَخِ وَفِي بَعْضِ الأَصُولِ فِي أَمْرِهَا قَالَ ابْنُ جِنْدِي فِي المُحْتَسَبِ : مَعْنَاهُ أَسْرَعَ وَخَفَّ . فَلَمْ يَثْبُتْ وَلَمْ تَطْمَئِنَّ لِلْيَقِينِ بِهِ قَدَمٌ . قُلْتُ : فَهَذَا التَّفْسِيرُ تَأْوِيلٌ لِمَا نَقَلَنَاهُ شَمِرٌ عَنِ اللَّيْثِ . قَالَ الأَزْهَرِيُّ . قَرَأَ شُعْبَةُ وَنَافِعٌ " بَلْ ادَّارَكَ " وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو " بَلْ أَدْرَكَ " وَهِيَ قِرَاءَةٌ مُجَاهِدٌ وَأَبِي جَعْفَرِ المَدَنِيِّ وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ " بَلَى آدْرَكَ عِلْمُهُمْ " ؟ يَسْتَفْهَمُ وَلَا يُشَدِّدُ فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ " بَلْ ادَّارَكَ " فَإِنَّ الفَرَاءَةَ قَالَ : مَعْنَاهُ لُغَةٌ فِي تَدَارَكَ أَي تَتَابَعَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ يُرِيدُ بِعِلْمِ الآخِرَةِ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ وَلِذَلِكَ قَالَ : " بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ " قَالَ : وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ أُبَيِّ أَمُّ تَدَارَكَ وَالعَرَبُ تَجْعَلُ بَلْ مَكَانَ أَمٍّ وَأَمٌّ مَكَانَ بَلٍّ إِذَا كَانَ فِي أَوَّلِ الكَلِمَةِ اسْتَفْهَامٌ مِثْلُ

قَوْلِ الشَّاعِرِ : .

فوالله ما أدري أسلامي تغوّّلت ... أم اليوم أم كل إليّ حبيب
معدني أم بلّ وقال أبو معاذ النّحويّ : ومَنْ قرأ : " بلّ أدرك " و
بلّ ادرك " فمعناها واحدٌ يقول : هم علماءُ في الآخرةِ كقوله تعالى :
أسمعُ بهم وأبصرُ يومَ أتوننا " ونحو ذلك قال السديّ - في تفسيره -
قال : اجتمع علماءُهم في الآخرةِ ومعناها عندَه أي علماءُوا في الآخرةِ أن
الذي كانوا يؤعدّونَ به حقّ وأزّشدّ للأخطلّ : .
وأدركَ علمي في سِواءةٍ أزّها ... تُقيمُ على الأوتارِ والمشربِ
الكدرِ